القوة الروحية

بين القبول والتشغيل

تأملات المؤتمر الصيفي لعام ٧٦ بأبي قير - اسكندرية
الخاص
بمجمع الله الخمسيني للكنيسة الرسولية

القوة الروحية
بين القبول والتشغيل

بقلم

القس صموئيل مشرقي
رئيس مجمع الله الخمسيني

صدر فى مايو ١٩٧٨
عن الكنيسة المركزية لمجمع الله الخمسيني
٨ ش أحمد كمال بجزيرة بدران - شبرا مصر
ت ٥٤٦٧٦

تقديم

بكل فخر واعزاز نقدم هذه المذكرات التى تحوى خلاصة وافية للدراسات التى ألقاها خادم الرب « القس صموئيل مشرقى » بالمؤتمر الروحى الثانى الذى انعقد ببيت ايل بأبى قير الاسكندرية لهيئة المجمع الموقر فى صيف عام ١٩٧٦ من ٢٣ الى ٢٩ يوليو بالعام المذكور .

ونظراً لما لهذه الدراسات من نظرة موضوعية خاصة يحتاجها بوجه عام أبناء هذا الجيل ، ولذلك فقد تقرر طبعها تعميماً للفائدة وخاصة فى أعقاب البحث السابق لها مباشرة بعنوان « الخطة الالهية بين الارادة والمشيئة » ، اذ أن من المقرر بطبيعة الحال أن تنفيذ الخطة الالهية فى حياة من يؤمنون بها فيتقبلونها لانفسهم ويتابعونها انما هو مرهون بالقوة الروحية التى تعطى بقبولهم لها الالتزام بالتشغيل والدفع فى اتجاهها . وهكذا يتم عمل الله فى حياتنا بالقوة التى ننالها منه سبحانه لإنجاز هذه المهمة العظمى .

واننا نستودع هذا البحث لإلهنا الساهر على كلمته ليجريها وعلى نفوسنا ليتمم كلمته فيها ، وله المجد الدائم آمين ؟

لجنة المطبوعات

تعريف القوة الروحية

« لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم » (أع ١ : ٨)

توجد أربع كلمات يمكن تقديم أوصاف كثيرة لها دون تعريف محدد لأى منها وهى : الحياة ، النور ، المحبة ، القوة . و « القوة » بالذات هى موضوع اهتمامنا هنا وهى على ثلاثة أنواع : بدنية ، عقلية ، روحية . . .

و « القوة » وهى فى اللغة اليونانية « دينامو س » التى منها « ديناميت » و « دينامو » هى طاقة من النشاط لها حركة تبدأ داخلياً ثم ينعكس فعلها خارجياً . « إنها سر إلهى يبعث فى الكائنات النشاط والحركة والاقتدار والإمكانية لإتمام القصد الإلهى من وجودها على أكمل وجه وبدونها يظهر عجز الكائنات واخفاقها فى إتمام ذلك القصد » ومن المعلوم أن لكل الموجودات بداية تبدأ منها — وهذه البداية هى مبدأ حركة لأنها المرور من حالة العدم إلى حالة الوجود . . وهذه الحركة لا تحدث إلا بقوة ذات فعل ينشئها . . وقد أعلن الكتاب المقدس ذلك بقوله إنه فى البدء أى « بدء تكوين العالم » كان « روح الله يرف » (تك ١ : ٢) والرف هو الحركة بعينها ، وبهذه الحركة كان يبعث الروح الحياة فى المادة . وهذا هو باعث الحركة والوجود ، وهو ما صادق عليه بولس بالقول : « لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد » (أع ١٧ : ٢٨) .

فالحركة إذاً وهى الفعل المنعكس للقوة إنما هى تحقيق لما هو ممكن

أى تحويل ما هو فى نطاق الإمكان إلى الوجود الحقيق الفعلى . وفى علم الميكانيكا يرد ذكر « القوة المحركة » وهى « المقدرة أو الامكانيه الكامنة فى كيان ما لفعل شىء معين — وقد تنشأ عن بخار أو ماء أو كهرباء » .

وما دام لابد لكل حركة من قوة تحدثها فإن هذا بعينه هو طريق الكشف عن القوة الروحية : وهى القوة المحركة للحياة الروحية التى توجد وراء كل عمل نؤديه لله ، ومن ثم فإنها حركة حياتنا كلها ليس فقط باعتبارها الماسك للعالم بأسره بل أيضاً الوسيلة الفعالة لاتحاد إرادتنا بإرادة الله وتكييف سلوكنا العام ليكون روحياً . .

والقوة فى النطاق الروحى ليست مجـــرد تأثير أو شعور وإنما هى امتلاك الروح القدس للكيان لأجل أن يحوزه ويحيا فيه ، إلا أنه إذا حزن فينا بسبب خطية ما أو عصيان أو جهل أو تمرد من أى نوع فإن القوة تتوقف وتعاق ولا تكون ظاهرة بعد ، أما إذا أطلقت القوة وأعطيت المجال فإنها تدفع لممارسة تنفيذ مشيئة الله فينا وبنا . . . !

* * *

ورغم التسليم بما سبق بيانه فإن هناك عدداً كبيراً من المسيحيين يجهلون هذه القوة الروحيه المحركة بل إن بعضهم يتجاهلها من قد اختبروا قوة الروح القدس ومع ذلك فإنهم لم يمكنوه من العمل فى تبديل حياتهم وتجديدها على التوالى ، بل أنهم لم يسلموا أنفسهم وإرادتهم كلية له وقد جعلوا بذلك حياتهم الطبيعية تتسلط عليهم بدون انقطاع بعكس الذين يسمحون لله بأن يتسلط على جميع نواحى حياتهم فيختبرون قوة الروح

القدس فى قيادتهم إلى الحياة المقدسة بآمالها الجديدة . وتصير غلبة النعمة على الطبيعة حينئذ أمراً واقعاً . . . !

مثل هذا السلوك بقوة الروح القدس وتأثيراتها فى الحياة اليومية يأخذنا مع مرور الساعات والدقائق إلى مقامات عليا . فيحدث فينا تغييراً مستمراً ليس فقط فيما يتعلق بالأمور الخارجية بل فيما يختص بواجباتنا وشعورنا الداخلى ... !

وهذا يدفعنا إلى حفظ قوى النفس المختلفة من التأثيرات الغريبة — وهذه القوى تختص بالتفكير والإدراك والحافظة والمخيلة ، فضلا عن كونها تختص بالقوة العاملة أسمى ملكات النفس وهى « الارادة » التى يجب أن نضعها بفعل الكلمة تحت سلطة الروح القدس !

وهكذا تساعدنا قوة الروح القدس ومسحته على أن نتعلم وتكون لنا القدرة على استخدام المعلومات المكتسبة لحل المشاكل أو المواقف التى قد تعترضنا ويتحتم علينا معالجتها بالتخطيط والتصميم وهما العامل الأساسى فى الاختيار المتعمد وهذا من سمات الذهن المستنير الذى يتابع عمل وتأثير القوة الروحية !

وهكذا تنبع هذه القوة من « روح الله » وتبدأ فى « روح الانسان » داخل كيانه وهى لذلك تشترط التجاوب الكامل بين « روح الانسان » و « روح الله » .

هذه هى القوة التى يطلب بولس فى رسالة أفسس أن يتأيد بها المؤمنون لكى يحل المسيح بالايمان فى قلوبهم (أى الكيان الداخلى لكل

منهم) فيطبع فيهم صورته الجميلة بصفاتها السامية ويضبط الحياة ضبطاً شاملا ابتداء من قدس الأقداس (روح الانسان) إلى القدس (نفسه) ثم إلى الدار الخارجية (جسده) وبذلك تتم عملية امتلاك الله لكيان المؤمن بأسره .

وهكذا يتحول كيان المؤمن إلى هذه الصورة وهى تستغرق الكيان كله سواء فى ذلك التأمل العقلى أو الهيام العاطفى أو التحـــويل الجسمانى ، إذ يجب أن تكون هناك عملية توازن تجمع هذه الجوانب كلها معاً ! !

ومن المعلوم الواضح أنه لا يمكن أن تتم هذه العملية بغير القوة الروحية فهى سر «ضبط الحياة» ، وإعدادها لتكون مسرحا للأعمال الإلهية إذ هى وحدها وسيلة التأهيل لتنفيذ مشيئة الله . لأن من ورائها الروح القدس يستلم زمام المبادرة فيمتلك كيان الإنسان المكرس ليصل به إلى الهدف المنشود . ولذلك فإن كلمة « أوصاهم بالروح القدس » الواردة فى فاتحة سفر الاعمال ترجمتها الحرفية « أعطاهم أمراً عسكرياً » فالأمر إذاً ليس متروكا لقدراتنا وتقديراتنا التى كثيراً ما تخطىء ولا لتنظيماتنا الخاصة للحياة ولا للجدل والنقاش وإنما هو يقوم على أمره المشدد بالانتظار إلى أن تلبسنا قوة الأعالى تأكيدا للحاجة القصوى إلى القوة الروحية ! !

* * *

الحاجة الى القوة الروحية

« فأقيموا فى مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا
قوة من الأعالى » (لو ٢٤ : ٤٩)

لاشك أن القوة الروحية هى الشىء الوحيد الذى تحتاجه الكنيسة والذى يجب أن يطلبه جميع أعضائها فى كل مكان وبنفس واحدة . . .

ونحن نرى فى كل مكان براهين فى حياة واختبار المسيحيين تؤيد عدم التمتع بهذه القوة بل ومع الأسف قلة طلبها . . مع أن هذه البركة قد أعدت لنا والله منتظر ليسكبها علينا ويمكن لإيماننا أن يتوقعها بأعظم ثقة . ولكن من المقرر أيضاً أن المعطل الأكبر فى طريق نوال هذه القوة هو حياة الذات التى كثيراً ما نراها قد اغتصبت المكان الذى كان يجب أن يشغله المسيح .

وحقاً ما أقل إدراكنا للحالة غير الروحية التى تغلبت على الكنيسة اليوم مضافاً إليها عدم الاهتمام بنوال هذه القوة ولا دفع الثمن المطلوب فيها ذلك بتوديع كل ما نعتبره عزيزاً علينا . فضلا عن حاجتنا إلى وقت طويل لكى يسود علينا تماماً شعورنا بالحاجة إلى نوال هذه القوة ، كما وإلى استعادتها لأن هذا يستلزم من جانبنا أن نفرغ أنفسنا بأقصى مايمكن من مشاغل الحياة الأرضيه ومطاليبها حتى فيما يبدو مشروعاً منها . . وذلك لأن الله قد يحتجب وهو يريد ثقة المتعاملين معه لأنه كثيراً ما يكون

قريبا منا دون أن نعرف ذلك ويمر بنا دون أن نعرف وقته أو ننتظره .

وذلك يستلزم بالضرورة شعور المؤمنين بحاجتهم إلى هذه القوة لأنه كما أن العطشان فقط هو الذى يتناول الماء بشغف والمريض فقط هو الذى يطلب الطبيب هكذا عندما يكون المؤمنون مستعدين لأن يعترفوا بحالتهم الناقصة الخاطئة روحيا حتى يمكن لتعليم البركة الكاملة ليوم الخمسين أن يدخل إلى قلوبهم .. ولكن طالما يتصور المؤمنون أن كل ما ينقصهم هو مزيد من الاخلاص أو اللجاجة وأنهم إذا حصلوا عليها يصلوا إلى ما يشتهون لأنفسهم فان الكرازة بالانجيل الكامل ان تنفعهم كثيراً .

إن إعلان وتخصيص هذه الحاجة هو الذى سيرد الجماعة المسيحية إلى القوة الخمسينية الأولى :

نعم يوجد فى أيامنا اعتراف متزايد بنقص القوة فى الكنيسة بالرغم من ازدياد وسائط النعمة فانه لا توجد قوة الخلاص الالهى فى المؤمنين ولا قوة التجديد فى الكرازة بالكلمة ولا قوه جهاد الكنيسة ضد العالم وعدم الإيمان والشر بأنواعه وأشكاله وهذا ما كنا ننتظر أن نشاهده بحسب كلمة الله — والشكوى هنا عادلة ، وهى تدفع أولاد الله إلى شعور جاد بالاحتياج ويلقوا بأنفسهم على هذا الحق العظيم الواضح المعالم فى الاعلان الالهى والتاريخ المسيحى على السواء — ومعنى ذلك أنه ان لم تؤمن الكنيسة بالحق الخمسينى الكامل وتتوق إلى التمتع التام ببركته فان أعضاءها لن يجدوا قوتهم وان يتمكنوا من أن يعملوا أعمال الكنيسة الأولى فتدخل خدمتهم إلى القلوب ويكون لها سلطان كامل عليها .

إن الايمان الحاضر الضعيف يدل على وجود خلل فى الحياة الروحية إن الفشل دائما يدل على الافتقار للتقديس وتغلب الذات والاعتماد على أفكارنا بدلا من مشورة الرب .

إلا ننوح على افتقارنا إلى القوة وانغلابنا فى أمور كثيرة بسبب ذلك فان افتقارنا للقوة الروحية عظيم جداً وما أقل الذين يمكنهم استعمال الاسهم التى كانت ألعوبة فى أيدى قديسى الازمنة القديمة مما دعا إلى تجنب تلك الأسهم واستبدالها بوسائل حديثة عديمة الجدوى .

يتبين من ذلك أن الاحتياج إلى القوة الروحية هى أكثر الحاجات المستعجلة للكنيسة اليوم سواء لمعلميها كما كان بطرس وبولس أو لشمامستها مثل اسطفانوس وفيلبس أو لمؤمنين عاديين بها مثل حنانيا وطابيثا — هذه هى حاجتنا الاولى وهى ماتدفعنا إلى الصراخ لله حتى تظهر هذه القوة فى الخدمة والحياة ببرهان أوضح لسد احتياج هذا الجيل !

هذه القوة هى سر انتعاش الروح بالفرح المقدس واتزان النفس بالهدوء والثقة وصحة الجسد بالانسجام والارتقاء به روحيا . . . وذلك لأن الانسان مجموعة احتياجات وضرورات ومتطلبات وهذه قد ازدادت وتعقدت فى الحياة العصريه ولم يعد بالإمكان عمل موازنة بين هذه كلها وبين الامكانيات التى يمكن أن تتم بها مواجهتها وهذا لأن الإنسان كائن روحى يستحيل عليه أن يسعد إلا إذا اكتشف كيانه الروحى والبيئه التى تلائمه كمتغرب فى عالم المادة وعليه أن يسعى ابتداء من نقطه الميلاد الثانى نحو اختبار النعمة الثانية الذى يتوج حياته بالقوة الروحية فتسقط بذلك الحياة القديمة بأسرها تلقائياً وتتحقق به الحياة الجديدة بكاملها !

برهان القوة الروحية

« كلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الانسانية المقنع ، بل ببرهان الروح والقوة » (١كو ٢ : ٦)

يتكلم بولس هنا عن نوعين من الكرازة ، ونوعين من الإيمان : فبحسب روح الكارز هكذا يكون إيمان الجماعة — وعندما تقدم الكرازة فى كلمات حكمة بشرية فحينئذ يكون إيمان السامعين فى حكمة الناس ؛ وأما عندما تكون ببرهان الروح والقوة فحينئذ يكون إيمان الشعب المسيحى فى قوة الله فيكون فى الحال ثابتاً ومتيناً ...

فالكارز ببرهان الروح تكون كرازته مضاعفة البركة فيكون فى الكلمة قوة وفى إيمان الذين يقبلونها قوة أيضاً . وإن كنا نرغب أن نعرف مقياس عمل الروح فيجب أن نتأمل فى الكرازة وفى الايمان الذى ينبع منها . وبهذه الطريقة وحدها نستطيع أن نرى عما إذا كانت الكنيسة تظهر بالحقيقة الآن البركة الكاملة ليوم الخمسين أم لا ...

قلائل جداً مستعدون أن يقولوا بأن الحالة معهم هكذا ومن ثم فإننا نجد فى كل مكان الشكوى عامة من الضعف والاستسلام للخطيئة ؛ وأما الذين لا يشتكون فإما أن يكون مرجع سكوتهم تغلب الجهل أو الاكتفاء بالذات . وأنه لمن الأهمية القصوى أن نركز أفكارنا على هذه الحقيقة إلى أن نأتى تحت الاقتناع التام بأن حالة الكنيسة متميزة بالعجز وأن لا شىء يقدر أن يردها إلا الرجوع إلى حياة التمتع الكامل

بقوة يوم الخمسين . فكلما تعمق فينا الشعور بنقصنا اشتقنا بسرعة إلى مثل هذا الرد وحصلنا عليه . فإن ذلك يساعد على إيقاظ الاشتياق لهذه القوة وأن نجد الطريق للحصول عليها باعترافنا بضعف التمتع بها في الكنيسة وكم ابتعدت الكنيسة عما يريده لها ربها وما هو مستعد أن يوجدها فيه بقوته ...!

ولكن أين نجد قوة الله ؟ إنها في يسوع المسيح الذى هو قوة الله وهو الذى قد دفع إليه كل سلطان (قوة) فى السماء وعلى الأرض . فكر على سبيل المثال فى ضعف القوة على الخطية بين أبناء الله ... تلك القوة التى إذا ما وصلت أجرت تغييرات مذهلة بإظهار حياة يسوع فينا . إن الحياة التى أعدها الرب لشعبه هى حياة الغلبة — وهى لا تعنى قط الإعفاء من التجارب هنا ولا إمكانية وجود الميل للخطية فى أى وقت ، ولكن أن تكون لنا هناك نصرة فيها إذ يمكن لقوة الروح الساكن الذى يملأنا بها وحضور المخلص الساكن فينا أن يجعلا الخطية مهزومة ومطرودة كما يفعل النور بالظلام ...

ومع ذلك ما أقل المدى الذى نرى فيه قوة الانتصار على الخطية فى الكنيسة وعلى العكس ما أكثر ما نراه بين المسيحيين من عدم أمانة وكبرياء وتقدير للذات وأنانية ونقص فى المحبه .. ما أقل ما نراه من صورة يسوع — التواضع ، الطاعة ، المحبة ، التسليم الكامل لمشيئة الله — بين شعب الله أنفسهم . والواقع أننا قد اعتدنا الاعتراف بالخطية وعدم الأمانة والعصيان حتى أن هذه لم نعد نعتبرها موضوعاً مخجلا بالنسبة لنا ... فإننا كثيرا ما نعترف بها ثم نستقر مستريحين ومكتفين — فليتنا نتضع

لهذا السبب ونحزن ! لأنه بسببه يقل تمتعنا بالبركة الكاملة بنوال القوة التى نقلما يطلبها أولاد الله بسبب ماعندهم من خطايا تمنع امتلاءهم بها ... !

لنفكر أيضاً فى ضعف الانفصال عن العالم وانعدام الوصول إلى مقياس الحياة العديمة اللوم فى السلوك والتصرف بعيداً عن روح العالم ... !

لنفكر فى ضعف النمو وقلة الثبات فى الإيمان ... أين الغيرة ؟ أين النشاط ؟ أين التقدم فى حياة الأمانة والثبات ... ؟

لنفكر فى ضعف القوة لأجل الخدمة بين غير المجددين — وترى على من يقع اللوم هنا ؟

لنفكر فى قلة الاستعداد للتضحية وبذل الذات لأجل امتداد ملكوت الله . ليت هذه القوة تمتلكنا إذاً فندركها ونلمس آثارها ... !

عندما تملأنا هذه القوة وتعالج هذا كله فينا فهل يا ترى تقوم بعملها هذا سريا خفائيا لا شعوريا لا يدرى به أحد ولا من يمتلىء بها نفسه أم لابد من الاحساس بها ويلمسها من حولنا ... الجواب معلوم بالطبع فإنه على مجرى التاريخ قد شوهدت هذه القوة وهى تظهر فى تحركات روحية لابد منها وهى حتما هكذا إلى النهاية ... !

وبدون هذا الاظهار المدرك المحسوس لا يمكن التيقن من سكنى الروح القدس الفعلية وامتلاكه الحقيقى للكيان الذى حل فيه وملأه وواضح من ذلك أن كل من توج يسوع ربا وملكا على عرش قلبه يتملكه هذا الشعور بأن المعزى قد حضر والذبيحة قد قبلت وأن القوة قد أتت وأن الاستيلاء قد تم ، وأن من تم فيه هذا العمل يشعر به

شعوراً يقينياً محسوساً فى روحه ونفسه وجسده وبذلك فقط يتم إدراك حلول القوة الروحية وملئها للكيان الذى تمتلكه ! ! وعندئذ لا يكون تشغيل الاستخدامات الروحية أمراً متقطعاً بل بحسب الترتيب أى النظام المعلن فى كلمة الله يكون لكل واحد إظهار الروح للمنفعة — وهذا هو التشغيل الذى يبدأ به بعد أن يتم الاستيلاء ويأتى الملء الذى يضع كيان مختبره تحت ضبط وهيمنة الروح القدس ، وهذا هو طريق الفيض الروحى لفائدة الآخرين وبنيان المؤمنين بعضهم لبعض ، وبذلك تصل الكنيسة إلى الصحة الروحية والنضوج الذهنى اللذين يتم بهما وصولها إلى حالة ما هو فوق الطبيعة التى يتميز بها من يحصل على هذه القوة .

وهذا يضفى بطبيعة الحال مرونه فى الحياة الروحية يتم بها قبول الحق المعلن من الله والسير فيه لأجل حصولنا على الرضى الكامل بنسبة تنفيذنا لمشيئة الله عمليا وهذا هو الأمر الوحيد الذى يفدى الحياة من البوار والضياع ، ويملأها بالغبطة والسعادة فتنال النفس به غبطة الوفاق مع إختبارات الله لها وقبولها فى عالم ملىء بالاضطرابات والشقاء ، وتتحول الحياة بذلك إلى مصنع إنتاج وإلى ثمر دائم ونضارة مستمرة !

هذا يمكننا من أن نسلك كما يحق للرب فى كل رضى (كو ١ : ٩ - ١١) وبذلك لايكون قبول مشيئة الله أمراً مظهرياً نظرياً بل يصبح حقيقة عملية يقينية لها نتائجها التلقائية المستمرة التى تغير كل نواحى الحياة وتملأها بالثمر المتكاثر لمجد الله .

ملء القوة الروحية

« أن تتأيدوا بالقوة بروحه فى الانسان الباطن »
(أف ٣ : ١٦)

لما كان الروح القدس هو روح الحق فإنه لابد من أن يقودنا إلى كل الحق وإنما ذلك بحالات تدريجية .. هذا هو سبب تقديم بولس لهذه الصلاة هنا وهى لأجل كل المؤمنين بدون تمييز .. أنه لم يعتبرها كامتياز روحى أو فخامة خاصه مقصودة للظاهرين أو المحاسيب من أولاد الله . كلا . بل هى للكل على السواء — فماذا تعنى هذه الطلبة إذاً ! ؟

التأييد بالقوة بروحه :

كان المسيحيون قد نالوا الروح فى (١ : ١٤) ولكنهم هنا لم ينالوا كل ما يمكن للروح أن يعمله وهذا هو سبب عدم إحرازهم أى تقدم جديد ، ولهذا هو يطلب لهم فاعلية هذه القوة الروحية فى الإنسان الباطن وهى ترتبط بالامتلاء بالروح الذى هو شرط الحياة الصحية النامية المثمرة

والرسول يسأل ذلك بحسب غنى مجده . فبالتأكيد ليس هذا بأمر تافه ولا هو بشىء عادى ، بل هو إظهار كل غنى نعمة الله وبطريقة تناسب مجده — فلنتذكر أننا فى حاجة إلى أن يعمل الله فى حياتنا الداخلية ويقوينا فى الانسان الباطن وإلا فلا يمكننا أن نحيا بحسب مايريد هو . . وكما أنه لا يستطيع مخلوق ما أن يحيا فى العالم الطبيعى مالم يدعم الله حياته ويعمل

فيها هكذا موهبة الروح عربون بأن الله نفسه يعمل فينـــا من دقيقة إلى أخرى .. لتدعيم حياتنا بدون انقطاع ولا للحظة واحدة ، بشرط أن يكون لدينا ثقة بأن الله يملأنا بالروح وسيقوينا باستمرار بنشاطه الجبار المقتدر ! .

ليحل المسيح بالايمان فى قلوبكم :

هذا هو سر التقوية الألهية بروحه فى الانسان الباطن . هـذا هو العمل العظيم المنسوب للآب وهو إعلان الابن الذى فيه قد تحققت مسرته فينا . ومن المحقق بأنه يستحيل قيام شركة مع الآب بدون الابن. وهذا هو القصد الذى أمامه ، من وراء تقويتنا بروحه فى الانسان الباطن وهو لكى يحل المسيح فى قلوبنا بالايمان . . وذلك لكى نمتلىء إلى كل ملء الله .

إن سكناه فينا هو امتلاك حقيقى محيى ومخترق أعماق كياننا ومن ثم فإن الآب يقوينا داخليا بروحه حتى أن الروح ينشط إرادتنا ويجعلها منسجمه تماماً مع إرادته ، فننحنى باتضاع وتسليم طالبين كرامته وكل كياننا يتحرك بالرغبة والمحبة له ـــ وهذا هو تأهيل القلب لسكناه ! .

بهذه القوة يسكن يسوع فيك فتتمتع بحضوره ومحبته . فيا نفسى إطلبى من الآب أن يؤيدك بقوة روحه ، ويهيئك لملء الروح ويخصصك لنفسه حتى تعرفى أخيراً معنى سكنى المسيح فى قلبك بالايمان! .

ولا يفوتنا هنا أن نقرر استحالة دوام الملء وبالتالى دوام حصولنا على القوة الروحية بدون التكريس التام ، الذى عن طريقه تبرز حقيقة

السكنى ، فيصبح كيان صاحبه مقر إقامة دائمة لروح الله ، فبالتكريس تصبح النفس ملك لله الثالوث الذى يتمم لها الوعد بأن يأتى إليها ويصنع عندها مسكنا . . . ويبتدىء اختبار السكنى هذا « بملء الروح » وهو التمهيد لنوال « ملء المسيح » ويصل الاختبار إلى منتهاه بالحصول على « ملء الله » — وكل ملء عندما يكتمل ويتم القصد منه يوصل إلى الملء الذى يليه دون أن يفقده صاحبه . !

أما الملء الأول — « ملء الروح » — فقد وجدنا أن سفر الأعمال والرسائل تستخدم فى وصفه عبارتين : واحدة فى الماضى التام والثانية فى المضارع المستمر فى الماضى التام تأتى لفظه الملء هكذا . « فامتلأ الجميع من الروح القدس » (أع ٢ : ٤) وأيضا « تزعزع المكان الذى كانوا مجتمعين فيه . وامتلأ الجميع من الروح القدس » (أع ٤ : ٣١) . وأما الكلمة الرابطة بين كل امتلاءين من هذا القبيل وهى « امتلاء » ، فقد وردت فى صيغة الحاضر المستمر كالقول : « وأما التلاميذ فكانوا يمتلئون من الروح القدس » (أع ١٣ : ٥٢) ومعنى ذلك أننى كلما أحسست بالفراغ بعد الامتلاء الأول أو إنخفض منسوب الملء فمن واجبى أن أطلب ملئاً جديداً يجعلنى ممتلئاً من الروح القدس بصفة مستمرة وهـــذه مسألة مهمة جداً .

أما أول ما يرتبط بملء الروح من معانى فهو نوال « القوة » كما سلف الذكر : « ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم » و« تتأيدوا بالقوة بروحه فى الانسان الباطن » ومن المعلوم أن هذه القوة تسرى فى كيان

من يقبلها كله فتجعله قويا بأسره ؛ تفكيره قوى ، روحه قويه ، تصرفاته قويه ، نفسه وجسده قويان — وليست هذه القوة قوة ذاتيه لأن هذه فى حكم العدم دائماً وإنما هى القوة الروحية قوة الله التى تحل وتمتلك الكيان بملء الروح (أ ف ٦ : ١٠) إنها القوة التى تدفع عن صاحبها تيارات الحياة الصاخبة وتضعه فى موكب الغالبين . قوة لموالاة السير مع الرب بغير توقف مهما كانت الظروف المحيطة ، وهى تجعل من يتأيد بها بطلا ، ثم هى تملأه بالسلام والسرور فيقهر بها كل عوامل الانقباض والاضطراب وكل أنواع الهموم والأحزان — وهذه هى « التعزيه » التى تمهد الطريق إلى شحن النفس التى تقبلها بنفس القوة لتكون فى حالة طيبه مجيدة تخلو من العبوس وتجعل صاحبها صالحاً لخطة الله وعمله ولتمجيده بذلك وهذه الشحنه هى « الصلاح » هذا الصلاح يتلازم مع العلم وبهذا العلم الروحى تظهر فينا حاسة التمييز ليس فى نطاق كياننا فقط بل وفيما يحيط بنا ، وبهذا التمييز نفهم تلقائياً ما هو مرضى عند الرب فنتأهل للسير فيه وتنفيذه .

وملء الروح يغمرنا أيضاً « بالمحبة » — الهيام والشغف والوله والانسباء — إنها محبة الله التى تنسكب (تفيض) فينا بالروح القدس المعطى لنا .

هذه المعانى كلها تعمل معاً لبنيان كيان المؤمن الممتلىء فتنمو حياته الروحية وتمتد وتأخذ قامتها بدون إنكماش وتتكمل حواسها كالضمير والعقل والإراده والعاطفة — وهذا يقودنا إلى المدخل الفاصل بين ملء الروح والملء الذى يليه فنأتى إليه تلقائياً وهو :

أما الملء الثانى — «ملء المسيح» — فبملء الروح — الملء السابق التمهيدى تتهيأ النفس لحلول المسيح ويعدها الروح القدس لاستقباله لأنه بما يهبها إياه بملئه يمنحها التأهيل الفائق للاتصال الروحانى على أساس متانة بنيانها وأخذها نطاقها المشروع وباكتمالها هذا يحل المسيح بالإيمان فى كيانها أى يأتى بملئه ويمتلكها ، وهذا هو الهدف الذى يجب أن نسعى إليه من وراء الملء الأول الذى به يتم سكنى الروح القدس — السكنى الشعورية فينا — التى تتحققها بحدوث فيض قوته وامتلاء كياننا المفتوح بها بقابلية متزايدة أساسها تسليم الحياة بجملتها للرب ، ذلك أنه متى كان التسليم حقيقياً من جانبنا فان الرب لن يتأخر عن الاستلام من جانبه عن طريق مندوبه فى ذلك وهو الروح القدس الذى يقوم عندئذ بطبع صورة المسيح فينا وصفاته فنتقبلها بنسبة قياس وحجم كل منا وبذلك يحيا المسيح فينا ... وإذ يستلم زمام الحياة فانه يتحدى الصعوبات التى أمامنا ويزيلها كما يضبط الحياة نفسها ويوجهها ويرتب مشروعاتها ومشتملاتها ...

هذا يقود بطبيعة الحال إلى الملء التالى العجيب وهو :

الملء الثالث — «ملء الله» هنا إعلان ملكية الله التامة فى الداخلين معه فى عهد العلاقة الأبديه بقبول إطاعة مشيئته لأن ذلك هو المظهر العملى للتملك الألهى .. هنا فى رحاب الملكية الآلهيه يصبح لنا مبدأ واحد غير متعدد متمركز فى الحياة وهو تنفيذ مشيئة الله ، وهى تعنى القرارات والخطط والمقاصد التى أعدها الله للنفوس المكرسة المقدسه التى تقبل التعامل معه ، وهذا يستلزم الامتلاء بكل القداسة والحكمه والمحبه والحق بحالة شاملة للكيان كله وهو الوسيلة الفعالة لقبول مشيئه الله وتنفيذها .

فعل القوة الروحية

« والقادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب
أو نفتكر بحسب القوة التي تعمل فينا » (أف ٣ : ٢٠)

يواجه بولس الموقف المسيحي باعلان مشترك متكامل يربط فعل الإيمان بين جزئيه ويقدم أنشودة الحمد على أساسهما :

فالجانب الأول منه يدور حول قدرة الله ومداها :

فهو القادر أن يتمم وأن يفعل قادر على التنفيذ والتحقيق ، تنفيذ مشوراته وتحقيق مقاصده ، وفي قوله : « فوق كل شيء » و « أكثر جداً » نجد تعبيرين عجيبين جداً يكشفان الطريق إلى كل ملء الله !

فهما يكن نشاط الشيطان المتزايد وجحود البشر ومقاومتهم وصعوبة الشهادة بأمانة ، فإن الله رغم هذا كله قادر أن يفعل ، فلنربط إيماننا بقدرته التي لا يمكن الوصـــول إلى نهايتها أو استنزافها ، وبالتالي لن تفوق احتياجاتنا المتتابعة إمدادات الله ، متقوين بكل قوة ، لأنه بدون ذلك تكون الحياة المسيحية مجرد حلم عابر غير قابل للتحقيق وكأن قدرة الله غير فعالة — فوق كل شيء ؛ وأكثر جداً مما نطلب أو نفتكر (نتصور) فهو قادر أن يفعل أكثر من طلباتنا وحتى تصوراتنا . أنه هو الذي وضع فينا « الطموح » الرغبة في الاستزادة بلا حد ، مما يشتهي بسببه كل إنسان أن يصل إلى أفضل وأحسن مايكون لأن هذا هو سر السعادة .. ولاشك

أن الصورة التى رسمها الله لى ولكل نفس رائعة وجميلة جداً أكثر مما أحلم أنا شخصياً فى تحقيقه - ولكن هل يتركنى الله لهذه الصورة المثالية دون أن يحقق رغباتى ويعطينى سؤل قلبى ، الأمر الذى اكتشف به مكانى فى ملكوته وتصبح لحياتى قيمتها وتقديرها ! ؟ أم هو يكتفى باعلان مقاصده السامية فقط ليتحدانى بها دون أن يتمكن من تنفيذها ، فى حين أن الواقع والاختبار يقرران بأن مثل هذا الاتمام يحدث بمنتهى السهولة بقدرة الله عندما نرضى بخطته ومعاملاته فيتغير الوضع ويتسع النطاق وتتبدل الحالة ... !

وأما الجانب الثانى فإنه يتضمن تحدى هذه القدرة لنا :

وهذا واضح من القول : « بحسب القوة التى تعمل فينا » — أنها بالبونانية « دوناميس » التى اشتق منها لفظة « ديناميت » القوة الناسفة المنفذة . وهذه الكلمات فى الواقع تتحدانا ، فمع أن الله قادر أن يفعل ولكن ذلك إنما يكون بحسب القوة التى تعمل فينا — فهل نحلم بما يعمله الله ونعيش فارغين من القوة ؟! قوة يوم الخمسين التى ظهرت فى الكنيسة الأولى وهى التى استخدمت رجال الله العظام فى كل العصور — أنها أساس كل نجاح وتقدم وفقدانها هو سبب كل النتائج العكسية . صحيح أن قدرته مثل محبته كليهما فوق إدراكنا ولكن روح الاعلان عنهما هو أساس العبادة وجوهرها حاضراً ومستقبلا . . وفى رسالة كولوسى يبين الرسول كيف يتعب مجاهداً لتكميل المؤمنين لكى يحيوا لمجد الله فيحضرهم كاملين فى المسيح يسوع ، ولكنه يبين أنه يتمم ذلك « مجاهداً بحسب عمله الذى يعمل فيه بقوة » . (١ : ٢٩) ومن ثم فإن فتح المجال

للقوة لكى تعمل فينا هو أهم موضوع وإن كان إدراكه ليس سهلا بدون التسليم بحقوق الله فينا ... !

إننا لا ندرى مقدار القوة التى يستطيع الله أن يضعها فى إنسان ما . وعندما تأتى القوة الإلهية . لنثق أن الضعف البشرى لن يستطيع أن يحتجزها مطلقاً . ألا نذكر أوقاتاً ممتلئة بالعمل والتجارب ، نلنا فيها القوة الكافية حتى تعجبنا من أنفسنا : ففى الخطر اختبرنا القوة ، وفى العزلة وجدنا الملجأ ، ووسط الاشاعات الباطلة تعلمنا ضبط النفس ، وفى المرض عرفنا الصبر . والحقيقة هى أن الله يهبنا قوة لا نتوقعها عندما تأتى علينا تجارب لا نتوقعها . وبذلك يتحول الجبان إلى رجل والجاهل يتحكم ، والعيى يعطى فى نفس الساعة ما يقوله . قد يدفعنى ضعفى إلى التراجع ولكن قوة الله تشجعنى ... فهى تضمن لنا المساعـــدة فى الأحوال التى نضطر أن نتصرف فيها بأنفسنا حتى ولو لم يكن هناك أى مساعدين منظورين . . .

وهذه القوة الروحية تنساب وتتدفق فى داخل الكيان وخارجه : فهى تتمثل فى الملء الداخلى الذى يتم بحلول الروح القدس كما تظهر فى المسحة الخارجية عندما تلبسنا القوة — وهذا يشير إلى ما تظهر به من ملابس تتميز الشخص منا عن الآخر هكذا نجد أن هذه القوة عندما تلبسنا (أى تظهر علينا) من الخارج فإنها تصبح الشكل الخارجى لنا الذى يكسبنا شكلا معينا متميزاً . . .

فإذا لم نتغير بظهور القوة فى حياتنا فاننا نعطلها عن الظهور فتضعف حواسنا الروحية ويقل تمييزها للأمور فى حين أن لهذه القوة القدرة على ترتيب

الكيان الانسانى بأسره والتحكم حتى فى قانون الوراثة نفسه إذ أن الوعد الالهى يمتد فى كلمة الله إلى « تنقية الدم » ! وتكون الخطوة التالية لذلك بالطبع هى قيادة المؤمن إلى السلوك المثالى فى الحياة اليومية وذلك بالتدقيق فى عاداته والحرص على طهارة نظراته وأفكاره ومشاعره بأسرها ! فنرتقى إلى مقامات روحية وأدبية عليا ولا يكون اهتمامنا بتغيير الأوضاع بل بسمونا نحن وتغييرنا الذى يكفل لنا الانتصار فى كافة الظروف والأحوال !

هذا هو التكييف الروحى الذى يعطى الروح القدس الفرصة كاملة فى قيادة الحياة وإرشادنا لاختبار كل « ما هو مرضى عند الرب » ..

هذا هو الوهج النورانى الذى يكشف عما تحتويه المشاكل ويعطى الحل المناسب لها ، وبذلك نحصل على الوقاية فلا نغرق فى دوامات العالم المتدافقة ، بل يقودنا إلى بر الأمان رغم ضيق الأزمنه الذى بلغناه فى هذا الجيل .

ونتهى من هذا كله إلى عبارة ختاميه جامعه لمعنى فعل القوة الروحيه وهى : « أن هذه القوة هى الوسيلة الفعالة الوحيدة للحصول على خطة الله فى حياه آخذها ومتابعة تنفيذ تلك الخطه عملياً ! ! »

* * *

تجديد القوة الروحية

« منتظرو الرب يجددون قوة » (إش ٤٠: ٣١)
« تقووا من ضعف صاروا أشداء » (عب ١١: ٣٤)

هناك فرق أساسى وجوهرى بين القوة الطبيعية والقوة الروحية هو أن الأولى مهما كان مقدارها ومداها تقف عند حدود معينة لأنها محدودة الكمية والفعل وأما الثانية فهى ذات فاعلية دائمة حتى لو صغرت وأصبحت يسيرة . . وبإمكان من يراعى قانونها أن يسترد فعلها وأن يحيلها من قوة صغيرة إلى قوة كبيرة جبارة ذات تأثير عظيم فى نطاق حياتنا وما حولنا وإلى مدى بعيد غير متوقف عند حد من الحدود طالما يكون لدينا قابلية لهذه القوة ولتجديدها فينا والامتلاء بها دائماً كلما شعرنا بالفراغ . . . هذا كقانون يجب أن نعيه تماماً وهو يلزمنا بأن نتقدم تفصيليا إلى القواعد المرتبطة بتجديد القوة الروحية .

إن لفظة « تجديد » نفسها تعنى « الأخذ من جديد » ، وهذا يعنى فى حقيقة الأمر « تكرار الملء » — ويعتبر هذا التكرار القاعدة الأساسية الأولى فى قانون تجديد القوة الروحية . لأن هذه القوة التى نتحدث عنها هنا تختلف عن قوة الاستيلاء الأولى ، أنها قوة التدعيم للتحريك . ومن المناسب أن نميز بين الحالتين ، فالأولى منها هى عبارة عن قوة ثابتة ترتبط بالسكنى الشعورية عندما تبدأ بحلول الروح القدس ، أما الثانية فهى قوة نابعة عن فيض وذلك لاستخدامها فى « الاظهارات الروحية » التى لا يشترط أن يبذل فيها جهداً جسمانياً يعلو عن المستوى الروحى .

وإلا كانت المسألة مجرد ضجيج ضئيل الفائدة ، ومن هنا وجب تجديد القوة الروحية نفسها لدوام التشغيل الروحى وذلك بصفة أساسية لأنه لاغنى عنها لمواجهة حالات الفراغ التى تنتج عن تفريغ هذه القوة . . . الأمر الذى يستلزم طلب إمداد جديد لأخذ شحنة جديدة منها ، على قدر الطاقة (أى السعة) وهذه قابلة للازدياد بنسبة الأمانة الشخصية ! وحالة الفراغ هذه هى فرصة توليد ثقة الايمان بطلب تجديد القوة لايجاد نشاط وتحريك جديدين والاتيان بكياننا فارغاً أمام الرب وهذا هو أفضل إعتراف بالضعف مما يجعلنا ننظر إلى الرب كالمصدر الوحيد لنا فى كل شىء ونقبل من كفايته المطلقة كلما نحن فى حاجة إليه .

وليست الصعوبة هنا فى طلب تجديد القوة نفسه بل فى وقت الانتظار وقد يطول فنتعرض للقلق أو التذمر كما أنه يمتحن مدى تمسكنا وتصميمنا « لن أتركك إن لم تباركنى » هذا هو الطريق الأمثل :

وبينما يعيا الفتيان ويتعب الغلمان إذ بمنتظرى الرب يتحدون قوى الطبيعة بأسرها ويغلبونها لأن الله مستعد أن يهب منتظريه قوة فائقة للطبيعة بها « يرتفعون بأجنحة كالنسور » ، والنسر كملك الطيور لايهوى إلا حرية الانطلاق فى الأجواء العليا ، لقد أعطى أعيننا حادة يرى بها فريسته فينقض عليها ثم يعلو إلى فوق مرة أخرى هكذا إذا ما تشبهنا به فإننا نقتنص من الأرضيات ونختطف من الفانيات مانكنزه ونحيله إلى سماويات باقيات ، ونتحدى فى ذلك العواصف — كالنسر — فنفرد أجنحتنا ونصعد بها إلى أعلى الأجواء . .

ونقطة التحول فى هذا كله نجدها فى لفظة « وأما » التى تتصدر

وصف « منتظرو الرب » فهذه هى التى تجلب لهؤلاء المنتظرين معونة السماء بتجديد قوتهم وهذا أشبه بإعادة شحن البطارية حتى يعاد إستعمالها.. هذا هو العلاج الواقى المضمون ، أنه مانع الانهيار الذى قد نتعرض له فى أى وقت فى حين أن لأضعف قديس حق تجديد قواه بانتظار أمام الرب وهذا لازم جداً . إذ لا سبيل لتحدى حيل الشيطان وأساليبه فى محاولته الدائبة لتحطيم قوة القديسين بغير تجديد هذه القوة التى صيرتهم قديسين منذ بداءة الحصول عليها ... فما أشد حاجتنا إلى تجديد هذه القوة الروحية فينا بل أن الروح القدس لابد من أن يسير بنا دائماً نحو ذلك .

هذا هو طريق الانطلاق إلى أعلى مستوى إلى جبال الله المقدسة وإلى جبل التجلى العجيب حيث نجد سيدنا لا يعيش بقدرته الذاتية الفائقة لكنه وقد أخلى نفسه مارس الانتظار كمثال لنا حتى لا نزحف كالسلاحف فى الحياة الروحية بل نعلو ونرتقى رافعين أجنحة كالنسور .

إن طريقنا لم يختف من أمام الرب قط ولكن علينا بانتظاره لأن فى ذلك سر تجديد القوة التى هى قوام الحياة الغالبه المنتصرة التى تحلق فوق سماء المجد — هذه هى حياة السمو والرفعة والارتقاء الروحى .

والآن هل أنت من منتظرى الرب لتجديد القوة الروحية فيك حتى ترتفع بأجنحة كالنسور إلى أعلى جبال الاختبار الروحى ؟! إنك إذا فعلت ذلك أمكنك الركض فى طريق الرب لتسعى فى خدمته وعمله — غير مكتف بالقليل ولا بتحديد الرؤى بل تمتد نظراتك إلى الأفق البعيد لن تعود تنظر إلى تحت لأن هذا الرفع سيعطى معنى جديداً للأشياء

لديك فهو يكشف لك عن تفاهة هـــذا العالم الذى نعيش فيه ، وهذا الكشف دائماً هو فعل الاختيار العالى بل هو سر السير مع الله فى نشاط وحماس طيلة الحياة ، فتصبح أخنوخ عصرك الذى يحلو له السير مع الله إذ أنه من بعد التدريب على الحياة العالية يأتى الركض : بغير تعب الركض فى السباق الموضوع أمامنا لأنه من بعد الرفع والركض يأتى درس السير اليومى مع الله — وهكذا تجد فى المسيح بتجديد هذه القوة الروحية سماء جديدة وأرضاً جديده من الآن !

هذه هى الامتيازات التى نحصل عليها من وراء تجديد القوة الروحية وهى تحدد مسئوليتنا تجاه إعلان حاجتنا إلى هذا التجديد والاعتراف به وطلبه من كل وجه لحين الحصول عليه ، لأن على كل من يريد أن يعمل عملا خالداً يبقى له من بعد إنتهاء الزمان أن يتعلم سر المواظبة فى الانتظار قدام الرب بصبر وثقة لإتمام ذلك .

هنا يفشل البعض بسبب عدم تجديد القوة الروحية ولكن طوبى لمن يصبر إلى المنتهى وينتظر إلهه دائماً ويثق فى أن يجدد له هـذه القوة المباركة التى هى سر التشكيل الروحى وفقاً للقالب الكتابى وهو ضامن الوصول إلى المدينة اللؤلؤية ، لذلك كانت المهمة التى تجريها هـذه القوة الروحية فى الذين يقبلونها لا تقل عن تغيير حياتهم تغييراً جذرياً من الأعماق ، ودفعهم إلى الولاء المطلق لقضية الأبدية واكتساب صفات المسيح ، وإدراك معنى وقوة الشركة فى الطبيعه الإلهيه هاربين من الفساد الذى فى العالم بالشهوة .

سر القوة الروحية

« جسد واحد وروح واحد كما دعيتم أيضاً فى رجاء دعوتكم الواحد » . (أ ف ٤ : ٤)

نصل الآن إلى نتائج الختامية الحاسمة لنوال القوة الروحية ، وهى تتحدد فى الواقع من ثلاث زوايا واحد منها شخصى والثانى جماعى على والثالث يتصل بالكنيسة الحقيقية فى مجموعها العام .

أما بالنسبة للجانب الشخصى : فإنه يظهر كما سلف البيان فى التشكيل الفردى المعروف بلغة الكتاب « بسر التثبيت » (٢ كو ١ : ٢١) فليس هناك تثبيت بغير القوة الروحيـــة ، هى التى تتمم القول الإلهى « أما الصديق فأساس مؤبد ... » أن سر التثبيت هذا هو أقوى من الزمن ومن الظروف وهو الكفيل بتحدى كل ما تحتويه الدنيا بأسرها ، أنه ضمان أمانة الوكالة فى عمل الله ، الأمر الذى بموجبه نصير عاملين مع الله وهو يثبت بالآيات التابعة .

وننتقل من ذلك إلى الجانب الجماعى : هنا تكتمل الصورة الفردية وتأخذ موضعها الأصلى الثابت فى نطاق الجماعة ، وواضح أنه بدون القوة الروحية لا يتم التشكيل الصحيح للفرد وبالتالى تتفكك علاقاته ويعجز عن الإرتباط بالجماعه والتوحد معهم وهو بذلك يخفق فى إدراك ماهية الكنيسة وماذا تكون ! ؟

وهذا يأتى بنا إلى جانب الكنيسة الحقيقية بأسرها : فى مجموع الأفراد الأمناء الذين تتكون منهم وتتخذ القوة الروحية فى حياتهم مجالا لها ـــ

والتعريف الصحيح للكنيسة هنا هو : « أنها مؤسسة إلهية تضم الذين إندرجوا تحت لواء الرب واتحدوا تحت رايته ليحكموا تحت فعل القوة الروحية ، فيثبتون ويتماسكون فى جبهة متحدة فى وجه إبليس لصد هجماته وعدم تمكينه من فتح ثغرات حتى لا يجد بين صفوفهم مكاناً » .

وهذا الجانب الثالث يوصلنا إلى « سر الشهادة » أى الكرازة باسم فادينا الحبيب وتحت لواء جماعة متحدة ومنسجمة ، هى جماعة القديسين أى الأمناء الممتلئين بقوة الروح القدس !! ولا شك أن وحدتهم إنما هى لتمييزهم عن العالم وإعدادهم الاجتماع الكبير الذى يضمهم فى السماء — فهى وحدة تعنى إرتباطاً مصيرياً ، أنها ليست لمجرد التميز فحسب بل ولإدراك المصير المشترك ووصولهم إلى البيت الأبدى بعد نجاحهم فى فرصة تعارفهم بعضهم مع بعض لتبادل المنفعة والبنيان والتعزية !!

ومن المؤكد إزاء ذلك بأن سر القوة الروحية إنما يظهر فى إتحاد المؤمنين بالمسيح والانتساب إليه كجسده ، الجسد السرى العجيب ، ولذلك فإننا عندما نتساءل عن العمل الرئيسى لهذه القوة فى حياة المؤمنين فاننا سنجده لا التعزية ولا السعادة ولا حتى الأثارات والاستخدامات الروحية ، لأن هذه كلها ردود فعل للقوة ، أما فعلها الأصلى الدائم فهو إستلام الكيان البشرى كله وإعداده لعملية تغييرية فائقة تصل به إلى الإنتساب للمسيح حتى أن كلمة الله تطلق عليه لهذا السبب «جسد المسيح» بالنسبة لأفراد المؤمنين (١كو ٦ : ١٥) وكذلك بالنسبة لمجموعهم عندما يجتمعون معا (١كو ١٢ : ٢٧) وأيضاً بالنسبة للكنيسة الحقيقية ككل إذ وصفها الوحى بأنها : «جسده ملء الذى يملأ الكل فى الكل» (١ف١ : ٢٣) .

ومن المعلوم أن الإستلام سالب الذكر لا يمكن أن يتم بدون تقديم الذبيحة وربطها بقرون المذبح وبغير ذلك فإن الرب يرفضها ، ولكن مثل هذا التسليم يشبع قلب الله ، ويعطه الامكانيات أن يضع الأعضاء (المكرسين الذين أتموا مثل هذا التسليم) فى الجسد كما أراد (اكو١٢: ١٨) — هذا يعنى أن القوة الروحية لازمة جداً فى هذا المجال لكى تضع العضو فى مكانه المقرر بجسد المسيح السرى . وهذا يفتح المجال لفيض حياة المسيح فى مثل هذا الكيان المتقدس وانطباع صفات المسيح فيه يصل إلى عملية عجيبة هنا هى عملية إلغاء وإبدال : أما الإلغاء فيتجه إلى الحياة الذاتية التى يجب إنهاؤها هنا بالصلب بوضعها على الصليب وإستبقائها مصلوبة على طول الخط (٢ كو ٤ : ١٠) .

فالروح القدس بقوة فائقة وإقتدار عجيب ، ينقل إلينا (ضمن أمثال هؤلاء المكرسين) حياة المسيح ، لكن لما كان من المحال أن تختلط حياة المسيح السامية الخالية من العيوب بحياتنا المنحطة ، كان من المنتظر بفعل القوة الروحية أن يقوم الروح القدس بإلغاء هذه الحياة تماماً وإنهائها كلية الأمر الذى تصبح به الذات مصلوبة أبداً فينفتح المجال فى مثل هذه الحالة لإستقبال حياة المسيح !!

من هذا القبيل نشاهد عدة أمور عجيبة جداً :وأول هذه الأمور سهولة وعذوبة حياة المسيح فينا ، فهى تعنى فى الواقع حياة الثقة بدون خوف ، والإنتصار بدون هزيمة ، والنظام الذى يرفض عدم الترتيب ، والرضى والوفاق — ومثل هذه الحياه تتحدى الشيطان وتسقط شكاياته ! ومن الأمور الأخرى التى يجب أن ننتبه إليها بالنسبة لمثل هذه الحياة

أنها حياة لا حدود لفيضها ولا توقف لمدفقها بفعل روح الحياة فى المسيح يسوع (رو ٨ : ٢) والرسول هنا يتحدث عن هذا الأمر كاختبار شخصى لا يجوز فيه الكلام بلغة جماعية مطلقا ، ومن بعد أن تفيض الحياة داخلياً وتنعش الكيان الانسانى كله بالإيمان بعد أن تحرره ، فإنها تصل به بعدئذ إلى الإظهار الخارجى الذى يبدو واضحاً من القول : « البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات (رو١٣ : ١٤) فكما أن الملابس تحدد شكلنا وتميزنا كما سبق التوضيح لعبارة « تلبسون قوة من الأعالى » هكذا كل من امتلكه الله صار لابساً للمسيح ، إذ يصل حلوله فى الحياة إلى درجة الشمول — أى داخلياً وخارجياً — وتصبح الحياة فى المسيح ناموساً — أى قانوناً — ناموساً عاماً ثابتاً ، نافذ المفعول ومنظماً للحياة من كافة الوجود ، ومعنى ذلك أن الحياة التى تعمل فيها القوة الروحية بسرها لإظهار كمال صفات المسيح بنسبة قياس أخذها منها وضبطها بها إنما هى حياة تتفق تماماً مع المكتوب وتتنفذ فيها المشيئة الإلهية بحذافيرها ! !

وهذا ينقلنا إلى المجال العام الذى يكشف لنا معنى الاتحاد بالمسيح فى نطاق الكنيسة الحقيقية — وهى ليست مذهباً معيناً أو طائفة بالذات ولن تكون — وإنما هى « ملئه » وأفرادها من المؤمنين الحقيقيين « مملؤون فيه » ، وهذا هو سر الاتحاد الذى يعطى للنفوس الضمان الحقيقى — ، هنا نواجه السر « سر هذا الاتحاد » فنجده إعجازاً فائقاً ، فإن الذى ليس له حاجة إلى أحد ، وليس فيه فراغ بل أنه لا يقبل مثل هذا الفراغ ليملأه غيره ؛ عد فيه مكاناً ، لكل من يقبل حياته حسبما

توضح سابقاً ، فينتسب بذلك إليه و يصبح فى وضع عضو فى جسده وهذا الأمر - كسائر حقائق إيماننا المسيحى - إنما هو فوق عقولنا و إدراكنا ولولا الإعلان الإلهى عنه ماجرؤنا على التفكير فيه - ولكنه لا يعطيك أيها المؤمن العزيز مكانا فيه مالم تعطه أنت كيانك ليجد هو فيه مجالا و مستقراً ... !

وهكذا نرى فى نهاية المطاف أن قوة الروح القدس فى أعظم أهدافها تفتح المجال لغمر كياننا بحياة المسيح و إتحادنا به بعد الاستيلاء على كياننا هذا كله . وهذا هو الطريق الوحيد لجعلنا « قديسين » لا عن طريق الدعوة فحسب بل بفعل التقديس الذى يمس كياننا كله ، والله يهمه جداً مانحن عليه أكثر من كل ما نفعل لأنه أوجب فى السبق و لأن كل مانعمله ونحن غير قديسين مرفوض تماماً ... وأسمى تعريف للقديسين هو أنهم أولئك الذين انتسبوا للمسيح إنتساباً فعلياً واقعياً واستلمتهم يده بل وضعت عليهم وصاروا مستغرقين فى بحر حبه اللانهائى !!

وهكذا ينكشف لنا « سر القوة الروحية » الذى به نصبح قديسين أى تحت طلب الله فى كل وقت ننتظر تعليماته و توجيهاته و تحريكاته حسب الخطة الموضوعة منه بعد أن تكتمل فينا حياة المسيح لا بمنسوب ملئه المطلق لأن هذا مستحيل ، بل بنسبة ما نستطيعه من أخذ ؛ أى بمقدار ماعندنا من سعة ، وهذه السعة يمكن أن تزيد و تتسع كما أنه بالإمكان أن تنقص و تنكمش ... !

وبذلك يصبح القديس — بسر القوة الروحية — « إنسان الله » المستعد لكل عمل صالح والمؤيد بكل ملء الله أى قدراته الإلهية التى تنقله من عالم العجز والضعف والإستكانة وتجعل منه جبار بأس يضرب أروع أمثلة البطولة وينجز أعظم الأعمال الخالدة التى يفرضها على التاريخ وتصعد أمامه إلى سماء المجد !!

(تمت التأملات)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
(١٩٧٨/٣٢١٦)

مطبعة الأمانة
٣ شارع جزيرة بدران شبرا - مصر

صورة المؤلف أثناء زيارته للكنيسة الرسولية ببور سعيد
خلال شهر أغسطس ١٩٧٧ وهو يسجل كلمة مناسبة لها